بسم الله الرحمن الرحيم

مقتل الإمام الحسين عليه السلام

(المختصر)

إعداد

الشيخ زكريا بركات

بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله عليك يا رسول الله وعلى آل بيتك الطيبين الطاهرين المظلومين. صلى الله عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأنصار المجاهدين بين يديك، السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مُهَجَهم دونَ الحسين عليه السلام. يا ليتنا كنا معكم فنفوزَ فوزاً عظيماً. عظَّم اللهُ أجورنا بمُصابنا بالحسين (عليه السلام)، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليِّه الإمام المهديِّ من آل محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الرُّواة: لَمَّا أخذت الخيلُ في يوم عاشوراء تُقبل نحوَ الإمام الحسين (ع) وخيامِ أهل البيت (ع)، رفع الإمام الحسين (ع) يديه نحو السماء وقال:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْ كَرْبٍ يَضْعُفُ عَنْهُ الْفُؤَادُ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ، وَيَشْمُتُ فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلْتُهُ بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ؛ رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ».

فأقبل القومُ يجولون حول خيام الإمام الحسين، فيرَونَ الخندقَ والنَّارُ تَضْطَرِمُ في الْحَطَبِ والقَصَبِ الَّذي كان أُلْقِيَ فيه، فنادى شِمْرُ بنُ ذي الجوشنِ بأعلى صوتِهِ: يا حسينُ؛ أَتَعَجَّلْتَ بالنَّارِ قبلَ يومِ القيامةِ؟

فقال الحسينُ (ع): «**مَنْ هَذَا؟ كَأَنَّهُ شِمْرُ بْنُ ذِي الجَوْشَنِ**»، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ الإمام الحسين (ع): «**يَا ابْنَ رَاعِيَةِ الْمِعْزَى؛ أَنْتَ أَوْلى بِها صِلِيًّا**».

وأراد «مسلمُ بنُ عوسجةَ» أن يرميَ «الشمرَ» بسهمٍ، فمنعَهُ الإمامُ الحسينُ (عليه السلام) مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: دَعْنِي حَتَّى أَرْمِيَهُ؛ فَإِنَّ الْفَاسِقَ مِنْ أَعْدَاءِ الله وَعُظَمَاءِ الْجَبَّارِينَ، وَقَدْ أَمْكَنَ اللهُ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الإمام الْحُسَيْنُ (ع) : «**لَا تَرْمِهِ؛ فإِنِّي أكرَهُ أن أَبدأَهم بقتالٍ**».

وركب الإمام الحسين (ع) فرسَه، وتقدَّم نحوَ القوم في نفرٍ من أصحابِهِ، وبينَ يَدَيْهِ «بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ»، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ (ع) : «**كَلِّمِ الْقَوْمَ**»، فتقدَّمَ «بُرَيرٌ» فَقَالَ: يَا قَوْمِ اتَّقُوا اللهَ فَإِنَّ ثَقَلَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) قَدْ أَصْبَحَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُهُ وَعِتْرَتُهُ وَبَنَاتُهُ وَحَرَمُهُ، فَهَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ وَمَا الَّذِي تُرِيدُونَ أَنْ تَصْنَعُوهُ بِهِمْ. فَقَالُوا نُرِيدُ أَنْ نُمَكِّنَ مِنْهُمُ الْأَمِيرَ ابْنَ زِيَادٍ فَيَرَى رَأْيُهُ فِيهِمْ. فَقَالَ لَهُمْ بُرَيْرٌ: أَفَلَا تَقْبَلُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى المكَانِ الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ؟ وَيْلَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! أَنَسِيتُمْ كُتُبَكُمْ وَعُهُودَكُمُ الَّتِي أَعْطَيْتُمُوهَا وَأَشْهَدْتُمُ اللهَ عَلَيْهَا؟ يَا وَيْلَكُمْ! أَدَعَوْتُمْ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ دُونَهُمْ، حَتَّى إِذَا أَتَوْكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُمْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ، وَحَلَّأْتُمُوهُمْ عَنْ مَاءِ الْفُرَاتِ؟ بِئْسَ مَا خَلَّفْتُمْ نَبِيَّكُمْ فِي ذُرِّيَّتِهِ! مَا لَكُمْ لَا سَقَاكُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَبِئْسَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ! فَقَالَ لَهُ نَفَرٌ مِنْهُمْ: يَا هَذَا؛ مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ! فَقَالَ بُرَيْرٌ: الْحَمْدُ لله الَّذِي زَادَنِي فِيكُمْ بَصِيرَةً، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ فِعَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، اللَّهُمَّ أَلْقِ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، حَتَّى يَلْقَوْكَ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ غَضْبَانُ. فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَرْمُونَهُ بِالسِّهَامِ فَرَجَعَ بُرَيْرٌ إِلَى وَرَائِهِ.

وتقدَّم الحسين (ع) حتَّى وقف بإزاء القوم، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنَّهم السيل، ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة، فقال:

«الحمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا فَجعَلَهَا دَارَ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ، مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَالمَغْرُورُ مَنْ غَرَّتْه، وَالشَّقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ فِيهَا، وَأَرَاكُمْ قَدِ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسْخَطْتُمُ اللهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ، وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحَلَّ بِكُمْ نَقِمَتَهُ، وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا، وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ، أَقْرَرْتُمْ بِالطَّاعَةِ وَآمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)، ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعِتْرَتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ، فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللهِ الْعَظِيمِ، فَتَبّاً لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ، إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ، فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

وَدَعَا الإمامُ الْحُسَيْنُ (ع) بِرَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا، وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

«يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ» وَجُلُّهُمْ يسمعون فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَلَا تَعْجَلُوا، حَتَّى أَعِظَكُمْ بِمَا يَحِقُّ لَكُمْ عَلَيَّ، وَحَتَّى أَعْذِرَ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ أَعْطَيْتُمُونِي النَّصَفَ كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ، وَإِنْ لَمْ تُعْطُونِي النَّصَفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَأَجْمِعُوا رَأْيَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً، ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ، إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ».

ثُمَّ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى مَلَائِكَتِهِ وَعَلَى أَنْبِيَائِهِ، فَلَمْ يُسْمَعْ مُتَكَلِّمٌ قَطُّ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَبْلَغُ مِنْهُ فِي مَنْطِقٍ. ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ فَانْسُبُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا، ثُمَّ رَاجِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَعَاتِبُوهُمْ، فَانْظُرُوا: هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهَاكُ حُرْمَتِي؟ أَلَسْتُ ابْنَ نَبِيِّكُمْ وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنِ عَمِّهِ؟

وَأَوَّلِ مُؤْمِنٍ مُصَدِّقٍ لِرَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟ أَوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي؟ أَوَلَيْسَ جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ فِي الجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ عَمِّي؟ أَوَ لَمْ يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ الله (ص) لِي وَلِأَخِي: هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ الحَقُّ، وَالله مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ، اِسْأَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله الْأَنْصَارِيَّ، وَأَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، وَسَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ المقَالَةَ مِنْ رَسُولِ الله (ص) لِي وَلِأَخِي، أَمَا فِي هَذَا حَاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي».

فقال له شِمْرُ بْنُ ذِي الجوشَن: هُوَ يَعْبُدُ اللهَ على حَرْفٍ إنْ كانَ يدري ما تقول! فقال له حبيبُ بْنُ مظاهِر: والله إنِّي لأراك تعبد اللهَ على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنَّك صادقٌ ما تدري ما يقول؛ قد طَبَعَ اللهُ على قَلْبِك.

ثمَّ قال لهمُ الحسينُ (ع): **«فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا، أَفَتَشُكُّونَ أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ فَوَالله مَا بَيْنَ المشْرِقِ وَالمغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي، فِيكُمْ وَلَا فِي غَيْرِكُمْ، وَيْحَكُمْ! أَتَطْلُبُونِي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ؟ أَوْ مَالٍ لَكُمُ اسْتَهْلَكْتُهُ؟ أَوْ بِقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَةٍ؟»**.

فَأَخَذُوا لَا يُكَلِّمُونَهُ، فَنَادَى:

«يَا شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ، يَا حَجَّارَ بْنَ أَبْجَرَ، يَا قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ، يَا يَزِيدَ بْنَ الحارِثِ، أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنْ قَدْ أَيْنَعَتِ الثِّمَارُ وَاخْضَرَّ الجَنَابُ، وَإِنَّمَا تَقْدَمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٍ؟».

فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ: مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ! وَلَكِنِ انْزِلْ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُرُوكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ.

فَقَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ (ع) : «**لَا وَاللهِ، لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ، وَلَا أُقِرُّ لَكُمْ إِقْرَارَ الْعَبِيدِ**». ثُمَّ نَادَى: «**يَا عِبَادَ اللهِ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ، وَأَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ**».

ثمَّ إنَّه أناخ راحلته وأمر عُقْبَةَ بْنَ سَمْعَان بِعَقْلِهَا، وأقبلوا يزحفون نحوه.

فلمَّا رأى الحرُّ بن يزيد أنَّ القومَ قد صمَّمُوا على قتال الحسين (ع) ، قال لعمر ابن سعد: أَيْ عُمَر! أمُقاتِلٌ أنتَ هذا الرجلَ؟ قال: إِيْ والله، قتالاً شديداً أَيْسَرُهُ أَنْ تسقُطَ الرؤوسُ وتَطيحَ الأيديْ. قال: أَفَما لَكُمْ فيما عَرَضَهُ عليكُمْ رِضىً؟ قال عُمَرُ: أَمَا لو كان الأمر إليَّ لفعلتُ، ولكنَّ أَمِيرَكَ قَدْ أَبَى.

فأقبل الحُرُّ حتَّى وقف من الناس موقفاً ومعه رجلٌ من قومه يقال له قُرَّةُ بنُ قيسٍ، فقال له: يا قُرَّةُ هَلْ سَقَيْتَ فرسك اليوم؟ قال: لا. قال: فما تريد أن تَسْقِيَهُ؟ قال قُرَّةُ فظننتُ والله أنَّه يريد أن يتنحَّى ولا يشهدَ القتالَ، فكرِهَ أن أَراهُ حين يصنع ذلك فقلت له لم أَسْقِهِ، وأنا مُنطلِقٌ فأسقيَهُ، فاعتزَلَ ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنه أَطْلَعَنِي على الذي يريد، لخرجتُ معه إلى الحسين.

فَأَخَذَ يدنو من الحسين (ع) قليلاً قليلاً، فقال له مُهاجر بن أَوس: ما تريد يا ابن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فلم يُجِبْهُ، فأخذه مثلُ الأَفْكَل، وهي الرِّعدة، فقال له المهاجر: إنَّ أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قطُّ مثل هذا، ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟ فقال له الحر: إني والله أُخيِّر نفسي بين الجنَّة والنَّار فوالله لا أختارُ على الجنَّة شيئاً ولو قُطِّعْتُ وأُحرقت. ثمَّ ضرب فرسه فلَحِقَ الحسين (ع)، فقال له: جُعلتُ فداك يا ابن رسول الله، أنا

صاحبك الذي حَبَسْتُكَ عن الرجوع، وسايرتُك في الطريق، وجعجعتُ بك في هذا المكان، وما ظننتُ أنَّ القوم يَرُدُّون عليك ما عرضتَهُ عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، والله لو علمتُ أنَّهم ينتهون بك إلى ما أرى، ما رَكِبْتُ مثلَ الذي ركبت، وأنا تائب إلى الله مما صنعت، فترى لي مِنْ ذلك توبة؟ فقال له الحسين (ع): «**نعم؛ يتوبُ الله عليك، فَانْزِلْ**». فقال أنا لك فارساً خيرٌ منِّي راجلاً، أُقاتلهم على فرسي ساعةً، وإلى النزول ما يصير آخرُ أمري. فقال له الحسين (ع): «**فاصنَعْ ـ يرحمُكَ اللهُ ـ ما بدا لك**».

فتقدَّم الحرُّ أمام الحسين (ع) يخاطب القوم، فرموه بالنَّبل.

ثمَّ نادى عمرُ بْنُ سَعْدٍ: يا دريد؛ أَدْنِ رايتك، فأدناها، ثمَّ وضع سهماً في كبد قوسه، ثمَّ رمى وقال: اشهدوا أنِّي أوَّل من رمى الناس، فرمى أصحابُه كلُّهم، فما بقيَ مِنْ أصحاب الحسين (ع) إلَّا أصابه مِنْ سهامهم.

فقال الإمام الحسين (ع) لأصحابه: «**قُومُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَى الموْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ السِّهَامَ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ**». فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ، حَمْلَةً وَحَمْلَةً، حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ (ع) جَمَاعَةٌ.

فعندها ضَرَبَ الحسينُ (ع) يدَهُ على لحيتِهِ وجَعَلَ يقولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَداً، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْمَجُوسِ إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمٍ اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ، أَمَا وَاللهِ لَا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمِي**».

وأنزل اللهُ النَّصْرَ على الإمام الحسين (ع)، حتى رفرفَ على رأس أبي عبد الله (ع)، ثمَّ خُيِّرَ بينَ النَّصرِ على أعدائِهِ وبينَ لقاء الله تعالى، فاختارَ لقاءَ الله تعالى.

ثُمَّ صَاحَ الإمامُ الحسين (ع): «**أَمَا مِنْ مُغِيثٍ يُغِيثُنَا لِوَجْهِ اللهِ؟ أَمَا مِنْ ذَابٍّ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللهِ؟**».

ثمَّ تبارزوا، فأقبل الحرُّ إلى الإمام الحسين يستأذن فقال: يا ابن رسول الله، كنت أوَّل خارجٍ عليك، فائذَنْ لي لأكون أوَّلَ قتيلٍ بين يديك، وأوَّلَ مَنْ يُصافِحُ جدَّك غداً.

فكانَ الحرُّ أوَّلَ مَنْ تقدَّم إلى المبارزة، وجعل يُنشد ويقول:

إني أنـا الحـرُّ ومأوى الضيـفِ أضرب في أعنـاقكم بالسـيفِ
عن خير من حل بأرض الخيفِ أضـربكم ولا أرى من حيفِ

فقتل من أعداء الله أربعين فارساً وراجلاً، فلم يزل يقاتل حتى عُرْقِبَ فرسُه وبقيَ راجلاً، ثم لم يزل يقاتل حتَّى قُتل رحمه الله. فاحتمله أصحابُ الحسين (ع) حتى وضعوه بين يدي الحسين (ع) وبه رمق، فجعل الحسين يمسح وجهه ويقول: «**أنت الحرُّ كما سمَّتك أمُّك، وأنت الحرُّ في الدنيا، وأنت الحرُّ في الآخرة**».

و كان كلُّ مَنْ أَرادَ الخروجَ ودَّعَ الحسين (ع) وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، فيجيبه: «**وعليكَ السلامُ، ونحنُ خَلْفَك**». و يقرأ (ع): ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾.

ثم برز بُرَيْرُ بْنُ خُضَير الهمداني بعد الحرِّ، وكان من عباد الله الصالحين، فجعل يحمل على القوم وهو يقول: اقتربوا منِّي يا قتلة المؤمنين، اقتربوا منِّي يا قتلة أولاد

البدريين، اقتربوا منِّي يا قتلة أولادِ رسول ربِّ العالمين وذريَّتِهِ الباقين. وكان بُرَيْرٌ أقرأَ أهلِ زمانه، فلم يزل يقاتلُ حتى قَتَل ثلاثين رجلاً، ثمَّ قُتل رضوانُ الله عليه.

ثمَّ بَرَزَ من بعده وهبُ بْنُ عبدِ الله الكلبي، وقد كانت معه أُمُّه يومئذ فقالت: قُم يا بنيَّ فانصُرِ ابْنَ بنتِ رسولِ الله، فقال: أَفعلُ يا أُمَّاه ولا أُقصِّر، فحمل على القوم فلم يَزَلْ يُقاتلُ حتَّى قتلَ منهم جماعةً، فرجَعَ إلى أُمِّه فقال: يا أمَّاه أَرَضِيْتِ؟ فقالتْ: ما رَضِيْتُ أَو تُقْتَلَ بين يَدَيِ الحسينِ (ع) ... اِرْجِعْ فقاتل بين يدَيِ ابْنِ رسولِ الله؛ فيكونَ غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدَيِ الله، فرجع إلى القتال، فلم يزل يقاتل حتَّى قتل تسعةَ عشرَ فارساً واثنَيْ عَشَرَ راجلاً، ثمَّ قُطعتْ يداه فأخذت امرأتُهُ عموداً وأقبلتْ نحوَهُ وهي تقول: فداك أبي وأُمِّي قاتِلْ دونَ الطيِّبين حَرَمِ رسولِ الله، فأقبلَ كي يرُدَّها إلى النساءِ فأخذت بجانبِ ثوبِه وقالت: لن أعود أو أموتَ مَعَك. فقال الإمامُ الحسين (ع) : «**جُزيتم مِنْ أهلِ بيتٍ خيراً، اِرجِعِي إلى النساء رحمك الله**». فانصرفتْ إلى النساء، وبقيَ وهبٌ يقاتل حتَّى قُتِل رضوانُ الله عليه. فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه، فبصُرَ بها شمرٌ فأمر غلاماً له فضربها في رأسها بعمودٍ كان معه فقتلها رضوان الله عليها.

ورُوِيَ أنَّ أعداء الله رَمَوْا برأس وهبٍ إلى مُعسكر الحسين (ع) ، فأخذت أمُّه الرأس فقبَّلته ثمَّ رمت بالرأس إلى عسكر ابن سعد، فأصابت به رجلاً فقتلته، ثمَّ شدَّت بعمود الفسطاط فقتلت رجلين، فقال لها الحسين: «**ارجعي يا أمَّ وهب، أنت وابنك مع رسول الله (ص) ؛ فإنَّ الجهاد مرفوعٌ عن النساء**»، فرجعت وهي تقول: إلهي لا تقطع رجائي. فقال لها الإمام الحسين (ع) : «**لا يقطعُ اللهُ رجاك يا أمَّ وهب**».

ثمَّ برز من بعده عمرو بنُ خالدٍ الأزدي، فقاتل حتَّى قُتل رَحِمَهُ الله.

ثمَّ تقدَّم ابنُه خالدُ بْنُ عَمْرٍو، فلم يزلْ يُقاتلُ حتَّى قُتل رحمةُ الله عليه.

ثمَّ برز من بعده سَعْدُ بْنُ حنظلةَ التميمي، فقاتل قتالاً شديداً ثمَّ قُتل رضوان الله تعالى عليه.

وخرج من بعده عُمَيرُ بنُ عبدِ الله المذحجي، فلم يزلْ يُقاتلُ حتَّى قُتلَ رحمة الله تعالى عليه.

ثمَّ برز من بعده مُسلم بْنُ عوسجة، وكذلك برز نافع بن هلال البجلي، فقاتلا قتالاً شديداً..

ثمَّ حمل عمرو بن الحجاج (لعنه الله) في ميمنته من نحو الفرات، فاضطربوا ساعةً، فصُرع مسلم بن عوسجة، وانصرف عمرٌو وأصحابه وانقطعتِ الغُبْرة، فإذا مسلمٌ صريعٌ وبه رَمَقٌ، فمشى إليه الحسين (ع) ومعه حبيبُ بْنُ مظاهر، فقال له الحسين (ع) : «**رحمك الله يا مسلم، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**». ثمَّ دنا منه حبيبٌ فقال: يعزُّ عليَّ مَصرعُك يا مسلم، أَبْشِرْ بالجنة، فقال له قولاً ضعيفاً: بشَّرَكَ الله بخير. فقال له حبيب: لو لا أَنَّني أعلم أنِّي في الأثر لأحببتُ أن توصي إليَّ بكلِّ ما أهمَّك، فقال مسلم: فإنِّي أُوصيك بهذا، وأشار إلى الحسين (ع) ، فقاتِلْ دونَهُ حتَّى تموتَ. فقال حبيبٌ لأُنْعِمَنَّك عيناً، ثمَّ ماتَ رضوانُ الله عليه.

ولم يزل يُقْتَلُ مِن أصحاب الحسين (ع) الواحد والاثنان، فَيَبِينُ ذلك فيهم لِقِلَّتهم، ويُقْتَلُ مِن أصحاب عُمَرَ بنِ سعدٍ العشرةُ فلا يَبِيْنُ فيهم ذلك لكثرتهم.

وقال الإمام الحسين (ع) لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي: «**تقدَّما أمامي حتَّى أُصلِّي الظهر**»، فتقدَّما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتَّى صلى بهم صلاة الخوف، وكان سعيدُ بْنُ عبد الله الحنفي أمامَ الحسين (ع) ، كلَّما أَخَذَ الحسينُ (ع) يميناً وشمالاً قام بين يديه، فما زال يستقبل النبالَ والرِّماحَ ويَقِي الإمامَ الحسين (ع) منها، حتَّى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللّهُمَّ الْعَنْهم لَعْنَ عادٍ وثمود، اللهمَّ أَبْلِغْ نبيَّك السلام عنِّي، وأَبلِغْهُ ما لَقِيْتُ مِنْ أَلَمِ الجراح؛ فإنِّي أردتُ بذلك نُصرةَ ذُرِّيَّةِ نبيِّك. ثم مات رضوان الله عليه، فوُجِدَ به ثلاثةَ عشرَ سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح.

وأخذ أصحابُ الإمام الحسين يتسابقون إلى الجنَّة، حتَّى خرج زهيرُ بْنُ القين رضي الله عنه، فقاتل قتالاً شديداً، حتَّى قتل منهم مائةً وعشرين رجلاً، ثمَّ سقط شهيداً، فدعا له الإمام الحسين (ع) ولعن مَنْ قَتَلَه.

ثمَّ برز حبيبُ بْنُ مَظاهر الأسدي، فقاتل قتالاً شديداً، ثمَّ حمل عليه رجلٌ من بني تميم فطعنه، فذهب ليقوم فضربه الحصينُ بْنُ نُمير (لعنه الله) على رأسه بالسيف، فوقع ونزل التميمي فاحتزَّ رأسه، فهدَّ مقتلُه الحسينَ (ع) فقال: «**عند الله أحتسبُ نفسي وحُماةَ أصحابي**».

وهكذا كان أصحاب الإمام الحسين يخرجون الواحد تلو الآخر، حتى خرج شابٌّ قُتل أبوه في المعركة، وكانت أمُّه معه، فقالت له أمُّه: اُخْرُجْ يا بُنَيَّ وقاتل بين يَدَيِ ابْنِ رسولِ الله، فخرج فقال الحسين (ع) : هذا شابٌّ قُتل أبوه، ولعلَّ أُمَّه تكره خُروجَهُ، فقال الشاب: أُمِّي أَمَرَتْني بذلك، فبرز وهو يقول:

أَميريْ حسينٌ ونعمَ الأميرْ سُرورُ فؤادِ البشيرِ النذيرْ
عليٌّ وفاطمةٌ والِداهُ فهل تعلمونَ لَهُ مِنْ نظيرْ
لهُ طلعةٌ مثلُ شمسِ الضُّحى لهُ غُرَّةٌ مِثْلُ بَدْرٍ مُنيرْ

فقاتل حتى قُتل رضوان الله عليه.

وهكذا كان يأتي الإمامَ الحسينَ (عليه السلام) الرجلُ بعدَ الرجلِ من أصحابه يستأذنون، فيبرزون للقتال بين يديه عليه السلام، فيُستشهَد الواحد تلوَ الآخر، حتَّى قُتلوا عن آخرهم رضوانُ الله عليهم، ولم يَبْقَ مع الحسين (ع) إلَّا أهل بيته وهم وُلْدُ عليٍّ و وُلْدُ جعفر و وُلْدُ عقيل و وُلْدُ الحسن و وُلْدُه (عليهم السلام)، فاجتمعوا يودِّع بعضهم بعضاً وعزموا على الحرب.

فأخذ أبطال بني هاشم يخرج الواحدُ منهم تِلْوَ الآخَر، فيُقاتلون قتالاً شديداً، ويسقطون شُهداء مُضرَّجين بدمائهم.

حتَّى جاءَ القاسمُ بْنُ الحسن (ع)، وهو غلامٌ صغيرٌ لم يَبْلُغِ الحُلُمَ، فلمَّا نظر الحسين (ع) إليه قد برز اعتنقه وجعلا يبكيان حتَّى غُشِيَ عليهما، ثمَّ استأذن الإمامَ الحسين (ع) في المبارزة فأبى الحسين (ع) أن يأذن، له فلم يزلْ الغلامُ يُقبِّل يديه ورجليه حتَّى أذن له، فخرج ودموعُه تسيلُ على خدَّيه، وكان وجهُهُ كفِلْقَةِ القَمر، فقاتل قتالاً شديداً حتَّى قتل ـ على صغره ـ خمسة وثلاثين رجلاً، فشدَّ عليه عمرو بن نفيل الأزدي، فما ولَّى حتَّى ضرب رأس القاسم بالسيف، فوقع القاسم على وجهه منادياً: «يا عمَّاه»، فجاء الحسين (ع) كالصقر المنْقَضِّ، فضرب عَمْراً قاتِلَهُ بالسيف، فحملت خيلُ أهل الكوفة ليستنقذوا عَمْراً من الإمام الحسين (ع) فاستقبلته بصدورها وجرحته بحوافرها ووطئته حتَّى مات.

فانجلت الغُبرةُ وإذا بالحسين قائمٌ على رأس الغُلام وهو يفحص برجله، فقال الإمامُ الحسين (ع) : «**يَعَزُّ وَاللهِ عَلَى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوَهُ فَلَا يُجِيبَكَ، أَوْ يُجِيبَكَ فَلَا يُعِينَكَ، أَوْ يُعِينَكَ فَلَا يُغْنِي عَنْكَ، بُعْداً لِقَوْمٍ قَتَلُوكَ**».

ثمَّ احتمله الإمام الحسين (ع) حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته. ثم قال (ع) : «**اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً، وَاقْتُلْهُمْ بَدَداً، وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً، وَلَا تَغْفِرْ لهمْ أَبَداً، صَبْراً يَا بَنِي عُمُومَتِي، صَبْراً يَا أَهْلَ بَيْتِي، لَا رَأَيْتُمْ هَوَاناً بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَداً**».

وخرج قمر بني هاشم أبو الفضل العباس (ع) يطلب الماء للإطفال، وكشف أربعة آلاف كانوا يحيطون بالفرات، وأقحم فرسه في الماء وملأ القربة، وانطلق راجعاً باتِّجاه الخيام، فأحاطوا به من كلِّ جانب، فقُطعت يمينُه وشماله سلام الله عليه، ثم وقع سهمٌ في القربة فأريق ماؤها، ثم أصيب بسهم في صدره، فضعف عن القتال، وضربه ملعونٌ على رأسه الشريف بعمود من حديد، فسقط العباس من فرسه وصاح إلى أخيه الحسين (ع) : أدركني. فلما أتاه الإمام الحسين (ع) ووجده صريعاً في تلك الحالة، بكى عليه بكاءً شديداً، وقال: «**الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي**».

ثمَّ برز عليٌّ الأكبر (ع) ، فرفع الإمامُ الحسينُ (ع) سبَّابته نحو السماء وقال:

«**اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ أَشْبَهُ النَّاسِ خَلْقاً وَخُلُقاً وَمَنْطِقاً بِرَسُولِكَ، وكُنَّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى نَبِيِّكَ نَظَرْنَا إِلَى وَجْهِهِ، اللَّهُمَّ امْنَعْهُمْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ وَفَرِّقْهُمْ تَفْرِيقاً وَمَزِّقْهُمْ تَمْزِيقاً وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قِدَداً وَلَا تُرْضِ الْوُلَاةَ عَنْهُمْ أَبَداً فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا ثُمَّ عَدَوْا عَلَيْنَا يُقَاتِلُونَنَا**».

ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ وَتَلَا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.

وحمل عليٌّ الأكبر على القوم فقاتلهم قتالاً شديداً، فلم يزل يقتل على عطشه حتى ضجَّ القومُ من كثرة من قتل منهم، وضربه منقذ بن مرة العبدي على مَفْرِق رأسه ضربةً صرعته، وضربه الناس بأسيافهم، ثمَّ اعتنق فرسه فاحتمله الفرس إلى عسكر الأعداء فقطَّعوه بسيوفهم إرباً إرباً. فلما بلغت الروح التراقي قال رافعاً صوته: يا أبتاه؛ هذا جدي رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) قد سقاني بكأسه الأوفى شربةً لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول: العجلَ العجلَ فإنَّ لك كأساً مذخورة حتَّى تَشربَهَا الساعة، فصاح الحسينُ (ع) قائلاً: «**قَتَلَ اللهُ قَوْماً قَتَلُوكَ، مَا أَجْرَأَهُمْ عَلَى الرَّحْمَنِ، وَعَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الرَّسُولِ، عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَا**».

فلمَّا فَنِيَ أبطالُ بنو هاشم، خرج غلامٌ من خيام أبي عبدالله الحسين (ع) وبيده عمود من تلك الأبنيـة وهو مذعور، فجعل يلتفت يميـناً وشمالاً، فحمل عليه هانئ بن ثبيت فقتله.

وخرج ـ حينئذ ـ علي بن الحسين زين العابدين (ع) ، وكان مريضاً لا يقدر أن يحمل سيفه، وأم كلثوم تنادي خلفه: يا بُنيَّ ارجَعْ، فقال: «**يَا عَمَّتَاهْ؛ ذَرِينِي أُقَاتِلْ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ رَسُولِ الله**». فَقَالَ الْحُسَيْنُ (ع) : «**يَا أُمَّ كُلْثُومٍ؛ خُذِيهِ لِئَلَّا تَبْقَى الْأَرْضُ خَالِيَةً مِنْ نَسْلِ آلِ مُحَمَّدٍ**».

ولما فُجع الحسينُ (ع) بأهل بيته وولده ولم يبق غيره وغير النساء والذراري نادى: «**هَلْ مِنْ ذَابٍّ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ الله، هَلْ مِنْ مُوَحِّدٍ يَخَافُ اللهَ فِينَا، هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللهَ فِي إِغَاثَتِنَا**».

وارتفعت أصواتُ النساء بالعويل، فطلب الإمامُ الحسين (ع) أن يناولوه طفلَهُ الرضيع حتَّى يودِّعه، فناولوه الصبيَّ، فجعل يقبِّله وهو يقول: «**وَيْلٌ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِذَا كَانَ جَدُّكَ مُحَمَّدٌ المصْطَفَى خَصْمَهُمْ**».

فبينما الطفل في حجره إذْ رماه حرملةُ بسهم فذبحه في حجر والده الإمام الحسين (ع) ، فتلقَّى الإمامُ الحسين دمَهُ حتَّى امتلأت كفُّه ثمَّ رمى به إلى السماء، فلم تسقط منه قطرةٌ إلى الأرض. ثمَّ قال: «**هَوَّنَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ الله، اللهمَّ لَا يَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلٍ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ فَاجْعَل ذَلِكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا**».

والتفت الإمامُ الحسينُ (ع) إلى الخيمة ونادى: «**يَا سُكَيْنَةُ، يَا فَاطِمَةُ، يَا زَيْنَبُ، يَا أُمَّ كُلْثُومٍ، عَلَيْكُنَّ مِنِّي السَّلَامُ**».

فَنَادَتْهُ سُكَيْنَةُ: يَا أَبَه اسْتَسْلَمْتَ لِلْمَوْتِ؟

فَقَالَ: «**كَيْفَ لَا يَسْتَسْلِمُ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُعِينَ**».

فَقَالَتْ: يَا أَبَهْ رُدَّنَا إِلَى حَرَمِ جَدِّنَا.

فَقَالَ: «**هَيْهَاتَ لَوْ تُرِكَ الْقَطَا لَنَامَ**».

فتصارخْنَ النساء، فسكَّتهنَّ الحسينُ (ع) ، ثُمَّ وَقَفَ قُبَالَةَ الْقَوْمِ وَسَيْفُهُ مُصْلَتٌ فِي يَدِهِ، آيِساً مِنَ الْحَيَاةِ، عَازِماً عَلَى الْمَوْتِ، ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبِرَازِ فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ دَنَا مِنْهُ مِنْ عُيُونِ الرِّجَالِ، حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، ثُمَّ حَمَلَ (ع) عَلَى جموعهم وهو يقول:

أَنَـا الْحُسَـيْنُ بْـنُ عَلِي آلَـيْـتُ أَنْ لَا أَنْثَـنِـي
أَحْمِـي عِيَـالَاتِ أَبِـي أَمْضِي عَلَى دِينِ النَّبِي

قال بعضُ الرواة: فوالله ما رأيت مكثوراً قطُّ قد قُتل وَلَدُه وأهلُ بيتِهِ وصحبُهُ، أربطَ جأشاً منه، إن كانت الرجالُ لَتَشُدُّ عليه فيشُدُّ عليها بسيفه، فتنكشف عنه انكشاف المِعْزَى إذا شدَّ فيها الذئبُ، ولقد كان يحمل فيهم وقد تكاملوا ألفاً، فينهزمون بين يديه كأنَّهم الجرادُ المنتشر، ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**».

فلم يزل يقاتل حتى قتل ألفًاوتسعمائة وخمسين رجلاً سوى المجروحين، فقال عمر بن سعد: لقومه الويل لكم! أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتَّال العرب، فاحملوا عليه من كلِّ جانب، وكانت الرماة أربعة آلاف فرموه بالسهام، وحالوا بينه وبين رحله، فَصَاحَ بِهِمْ: «**وَيْحَكُمْ يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ! إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ المعَادَ، فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْرَاباً**».

فناداه شمرٌ فقال: ما تقول يا ابن فاطمة؟ فقال (ع) : «**أقول أنا الذي أقتالكم وتقاتلونِّي، والنساءُ ليس عليهِنَّ جُنَاحٌ، فامنعوا عُتاتَكُم عن التعرُّض لحَرَمِي ما دمتُ حيًّا**». فقال شمرٌ: لك هذا. فقصده القومُ يقاتلونه سلام الله عليه.

واشتدَّ العطش بالإمام الحسين (ع) ، فحمل على الفرات وكان عليه أربعة آلاف فكشفهم عن الماء، وأقحم الفرس على الفرات، فلما أولغ الفرسُ برأسه يريد أن يشرب، قال له الإمام الحسين (ع) : «**أنت عطشان وأنا عطشان، والله**

لا ذقتُ الماءَ حتَّى تَشْـرَبَ»، ففهم الفرسُ كلام مولاه فشال رأسه ولم يشرب، فمدَّ الإمام الحسين (ع) يده فغرف من الماء، فقال رجلٌ من عسكر عمر بن سعد عسكر: يا أبا عبدالله؛ تتلذذ بشرب الماء وقد هُتِكَتْ حُرَمُك، فنفض الماء من يده وحمل على القوم فكشفهم فإذا بالخيمة سالمة.

وجعل الإمام الحسين (ع) يطلب الماء، فأبوا أن يسقوه.

ثمَّ رماه رجلٌ بسهم فوقع في جبهته، فنزعه من جبهته فسالت الدماء على وجهه ولحيته، فقال (ع): «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى مَا أَنَا فِيهِ مِنْ عِبَادِكَ هَؤُلَاءِ الْعُصَاةِ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً، وَاقْتُلْهُمْ بَدَداً، وَلَا تَذَرْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَداً، وَلَا تَغْفِرْ لهم أَبَداً**».

ثمَّ حمل عليهم كاللَّيث المُغضب، فجعل لا يلحق منهم أحداً إلَّا بَعَجَهُ بسيفه فقتله، والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتَّقيها بنحره وصدره و يَقُولُ: «**يَا أُمَّةَ السَّوْءِ بِئْسَمَا خَلَفْتُمْ مُحَمَّداً فِي عِتْرَتِهِ، أَمَا إِنَّكُمْ لَنْ تَقْتُلُوا بَعْدِي عَبْداً مِنْ عِبَادِ الله فَتَهَابُوا قَتْلَهُ، بَلْ يَهُونُ عَلَيْكُمْ عِنْدَ قَتْلِكُمْ إِيَّايَ. وَايْمُ الله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكْرِمَنِي رَبِّي بِالشَّهَادَةِ بِهَوَانِكُمْ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ لِي مِنْكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُونَ**».

ولم يزل يقاتل (صلوات الله عليه) حتى أصابته جراحاتٌ عظيمة، فروي أنه وُجد به أكثر من ثلاثمائة طعنةٍ برُمح وضربةٍ بسيف ورميةٍ بسهم، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ.

فوقف (ع) يستريح وقد ضعف عن القتال، فبينما هو واقف إذ أتاه حجرٌ فوقع في جبهته، فأخذ الثوبَ ليمسح الدم عن وجهه، فأتاه سهمٌ محدَّدٌ مسموم له ثلاثُ

شُعَب، فوقع السهم في صدره الشريف، فقال (سلام الله عليه) حينئذ: «**بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ**»، ورفع رأسَهُ إلى السَّماء وقال: «**إِلَهِي إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ رَجُلًا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ابْنُ نَبِيٍّ غَيْرُهُ**».

ثمَّ أخذ السَّهمَ فأخرجه من قفاه، فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح، فلما امتلأت رمى به إلى السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة، ثم وضع يده ثانياً، فلمَّا امتلأت لطَّخ بها رأسه ولحيته وقال: «**هَكَذَا أَكُونُ حَتَّى أَلْقَى جَدِّي رَسُولَ اللهِ وَأَنَا مَخْضُوبٌ بِدَمِي، وَأَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَتَلَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ**».

ثمَّ ضعُفَ عن القتال فوقف، فجاءه رجل من كندة فشتم الإمام الحسين (ع) وضربه بالسيف على رأسه.

فلبِثُوا هُنيئةً، ثم عادوا إليه وأحاطوا به، فخرج عبدُ الله بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ (ع) من عند النساء وهو طفلٌ، حتى وقف إلى جنب الإمام الحسين (ع) ولم تتمكَّن زينبُ (ع) من منعه، وأهوى لعينٌ بالسيف إلى الإمام الحسين (ع) فمدَّ الغلام يده يريد أن يَقِيَ الإمام الحسين (ع) ، فضربه اللعين بالسيف فقطع يده، فضمَّه الإمام الحسين (ع) إليه وقال له: «**يَا ابْنَ أَخِي اصْبِرْ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ وَاحْتَسِبْ فِي ذَلِكَ الخَيْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ يُلْحِقُكَ بِآبَائِكَ الصَّالِحِينَ**»، فرماه حرملةُ بسهم فذبحه وهو في حجر عمه الإمام الحسين (ع) .

ثمَّ إنَّ شمرَ بنَ ذِي الجوشن حمل على فُسطاط الحسين (ع) فطعنه بالرمح ثمَّ قال: علي بالنَّار أحرقه على من فيه.

فقال له الإمام الحسين (ع) : «**يَا ابْنَ ذِي الْجَوْشَنِ أَنْتَ الدَّاعِي بِالنَّارِ لِتُحْرِقَ عَلَى أَهْلِي؟! أَحْرَقَكَ اللهُ بِالنَّارِ**».

ولَمَّا أثخن بالجراح وضعُف عن القتال وبقي كالقُنفذ، طعنه لعينٌ في خاصرته طعنةً فسقط الإمام الحسين (ع) عن فرسه إلى الأرض على خدِّه الأيمن، ثمَّ قام صلوات الله عليه.

فجعل فرسُه يحامي عنه ويثب على الفارس فيخبطه عن سرجه و يدوسه، حتى قتل الفرسُ أربعين رجلاً، ثمَّ تمرَّغ في دم الإمام الحسين (ع) وقصد نحو الخيمة وله صهيلٌ عالٍ، ثمَّ أخذ الفرس يضرب برأسه الأرض عند الخيمة حتى مات.

فَلَمَّا رَأَيْنَ النِّسَاءُ الجَوَادَ مَخْزِياً، وَالسَرْجَ عَلَيْهِ مَلْوِيّاً، بَرَزْنَ مِنَ الْخُدُورِ، نَاشِرَاتِ الشُّعُورِ، عَلَى الْخُدُودِ لَاطِمَاتٍ، لِلْوُجُوهِ سَافِرَاتٍ، وَبِالْعَوِيلِ دَاعِيَاتٍ، وَبَعْدَ الْعِزِّ مُذَلَّلَاتٍ، وَإِلَى مَصْرَعِ الإمام مِبَادِرَات.

وخرجت زينبُ من الفسطاط وهي تنادي: وا أخاه وا سيداه وا أهل بيتاه! ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تَدَكْدَكَتْ على السهل.

وصاح الشمر: ما تنتظرون بالرجل؟ فحملوا عليه من كلِّ جانب، فضربه زُرعةُ على كتفه، وضربه آخر على عاتقه المقدَّس بالسيف ضربةً كبا (سلام الله عليه) بها لوجهه، وكان قد أعيا وجعل ينوء ويكبو، فطعنه سنانُ بن أنس في ترقوته، ثمَّ انتزع الرمح فطعنه في بواني صدره، ثم رماه بسهم فوقع السهم في نحره، فسقط (سلام الله عليه) وجلس قاعداً، فنزع السهم من نحره وقرن كفَّيه جميعاً وكلَّما امتلأتا من دمائه، خضب بهما رأسه ولحيته وهو يقول: «**هكذا حتى ألقى الله مخضباً بدمي مغصوباً على حقي**».

قال أحدهم: فخرجت بين الصفَّين فوقفت عليه وإنه ليجود بنفسه، فو الله ما رأيت قطُّ قتيلاً مُضمَّخاً بدمه أحسنَ منه ولا أنورَ وجهاً، ولقد شغلني نورُ وجهه وجمالُ هيبته عن الفكرة في قتله. فاستسقى في تلك الحالة ماءً، فأبوا أن يسقوه.

فنزل إليه شمرٌ (لعنه الله) ، وكان اللَّعين أبرصَ، فضربه برجله، فألقاه على قفاه، وجلس على صدر الإمام الحسين (ع) وأخذ بلحيته، فقال الإمامُ الحسين (ع) : أنت الأبقع الذي رأيتُكَ في مَنامي، فغضب شمرٌ (لعنه الله) وهمَّ بقتله، وضرب بسفيه مذبحَ الإمامِ الحسين اثنتي عَشْرَةَ ضربة، ثم احتزَّ رأسه الشريف.

فضجَّتِ الملائكةُ بالبُكاء، واظلمَّتِ السماء، وعلَتْها غُبرةٌ شديدةٌ سوداء، وهبَّت ريحٌ حمراء..

وا حسيناه! وإماماه! وا سيِّداه! وا ذبيحاه! وا عطشاناه! وا مظلوماه!

❖❖❖

يقول خادمُ خُدّام الإمام الحسين (ع) زكريا بركات علي درويش: انتهيتُ من إخراج هذه النُّسخة من المقتل بصنعاء في يوم عاشوراء (محرم ١٤٤١ هـ) . يوافق: ١٠ ـ ٩ ـ ٢٠١٩م